

اجتهادات هيبتا: الجائعون للحب

لا يصلح الإقبال على رواية أو فيلم مقياساً لجودة أى منهما فى ظروفنا الراهنة. يفيد هذا المقياس فى التقييم حين يكون المجتمع فى حالة طبيعية. وليست هذه حالة مجتمعنا المنهك مادياً ومعنوياً.

ولذلك لم يكن الإقبال على رواية «هيبتا» مؤشراً على جودتها كما هو حال معظم الروايات التى ذاع صيتها فى الأعوام الأخيرة. وقل مثل ذلك عن الفيلم المأخوذ عنها الذى يلقى إقبالا واسعا منذ أن بدأ عرضه. اختلف نقاد فنيون فى تقييم الفيلم. ولكن مستوى الذائقة الفنية فى مجتمع تصحر ثقافيا لا يفسر الإقبال الواسع على فيلم حتى إذا كان هو الأفضل فى العالم.

فقد أقبلت جموع كبيرة على الفيلم، كما على الرواية، بسبب موضوعها الذى يُعالج بشكل مباشر «سلعة» شديدة الندرة يفتقدها المصريون، وهى الحب والمشاعر الرومانسية الجميلة. فهذا مجتمع عمّت فيه الكراهية، واشتد جوعه إلى الحب الغائب فيه إلا قليلا. ويقدم الفيلم، كما الرواية، «وجبة» دسمة من مشاعر الحب بطريقة تعليمية بل مدرسية. وعندما يستبد الجوع بالمرء، فهو يقبل على ما يحلم به بغض النظر عن طريقة تقديمه. ولذلك كان الطابع المدرسى للرواية والفيلم فى مصلحتهما، رغم أن ما ينطوى عليه من «وعظ» هو أكثر ما ترفضه الأجيال الجديدة التى أقبلت قطاعات كبيرة منها على الفيلم. ولولا أن هؤلاء جائعون للحب لما استراحوا إلى النزعة المدرسية المباشرة التى تصل إلى حد تحديد سبع

(خطوات للحب وكأنه عملية ميكانيكية 0) «هيبتا» تعنى 7 باللغة اليونانية

وهكذا لعب الفيلم، كما الرواية، على حاجة المجتمع إلى الحب. وأتاح لقراء ومشاهدين أن يخرجوا لوقت قصير من حالة شعورية إلى أخرى مختلفة تماما، قبل أن يعودوا للانغماس فيها بفعل ضغوط الحياة في مجتمع مزدحم يتصارع كثيرون فيه على فرص قليلة، ويدوس بعضهم على بعض في الزحام، فضلا عن الانقسام والاستقطاب المتزايدين فيه. وذكّرني ذلك، مع الفرق بطبيعة الحال، بفترة أقبلت فيها قطاعات واسعة من الناس على من أطلق عليهم وقتها «دعاة جدد» استخدموا أساليب حديثة في استثارة المشاعر الدينية. وكان بعض من يسمعون دروس أولئك الدعاة يبكون من شدة التأثر، وكأنهم «يتطهرون» للحظات من سلوكيات فاسدة سائدة صار بعضها جزءا من نمط الحياة، دون إدراك أن الحل ليس في تدين سطحي زائف، بل في إصلاح المنظومة الفاسدة.